مجلة الدراسات التاريخية العسكرية

Journal of Military Historical Studies

المجلد: الرابع (04) / **العـدد:** الأول (01) **(جانفي 2022)**،
ص64 - 82

تاريخ الاستلام**16 /2021/12** تاريخ القبول: 2021/12/26

العنوان:

مبادئ الـــدعـاية والتعبئة الشعبية في انتفاضة المقــراني والحـداد من خلال كتابات الضابطين الفرنسيين: العقيد روبان والنقيب رين

popular propaganda and Mobilization Principles, in the Al-Moqrani and Al – Haddad uprising, through the writings of the two French Officers, Colonel Robin and, Capitain Rin

المؤلف:

زغار محمد مختار/

المركز الوطني للدراسات والبحث-ت ع ج

البلد:

الجزائر

البريد الالكتروني:

Haidouzeghar@gmail.com

ملخص

يتطرق هـذا المقـال لـدور الدعايـة والتعبئـة الشـعبية في انتفاضة المقراني، من خلال كتابات الضابطين الفرنسيين النقيب لـويس رين والعقيد روبان، كونهما عاصرا أحداث الانتفاضة. كما سنبرز أهم الوسائل والأدوات التي اعتمدها كل من المقراني وسي عزيز وبقية قادة الانتفاضة في إنجاح الدعاية والتعبئة الشعبية سنة 1871، وما هو دور الإخوة الرحمانيين فيها.

كلمـات مفتاحيـة: الدعايـة، التعبئـة الشـعبية، انتفاضـة 1871، المقراني، الإخوة الرحمانيون.

Abstract:

This article tackles the issue of propaganda and popular mobilization in the Moqrani and Al – Haddad uprising. It will primarily use the contemporary writings of two French officers: Capitain Rin and, Colonel Robin. It will also highlight the most important tools adopted by Al-Moqrani and other leaders of the uprising to secure the success of propaganda in 1871, as well as the role of the Rahmani brothers.

Key Words:
Propaganda, popular mobilization, Al- Moqrani The Rahmani brothers, Uprising of 1871.

المؤلف المرسل: زغار محمد مختار

البريد الالكتروني: Haidouzeghar@gmail.com

مقدمـة

تعددت الأدوات المستخدمة في الحروب والمعارك-منذ القديم-ويظهر للإنسان أن تطور الأسلحة والمعدات المادية هي أدوات الحسم في أية حرب فقط، لكن الحقيقة أن هناك أسلحة غير مادية أشد خطورة حسمت الكثير من الحروب، وغيرت مجريات العديد من المعارك باستخدام أداة أخطر من السلاح، وهي الدعاية والتعبئة الشعبية.

فالدعاية والتعبئة الشعبية، لم تأتي دون تطور تسلسلي وخلفية تاريخية عريقة تعود لمئات السنين، فقد أدرك القادة العسكريون عبر التاريخ أهمية التأثير في العدو، وهناك العديد من النماذج لقادة اعتمدوا الدعاية والتعبئة الشعبية للترويج لقضاياهم و ثوراتهم ومن هؤلاء القادة في تاريخ الجزائر، القائدين محمد المقراني والشيخ الحداد في انتفاضة 1871، حيث سنتطرق لأهم الأدوات التي اعتمدها هاذين القائدين و ما هي أبرز المبادئ التي طبقوها في الدعاية والتعبئة الشعبية وما هو دور مقدمي الطريقة الرحمانية فيها ؟.

1 . تعريف الدعـايـــــة والتعبئة الشعبية

هي الوسيلة الأساسية لمضاعفة عدد المتعاطفين مع قضية ما، وهي فن تعبئة القوى الفكرية والعاطفية لتسيير عملية الإقناع بمثالية رأي أو موقف أو فكرة لثورة ما[1]، وهي كذلك كسب تأييد عدد كبير من الأنصار، حيث يعرفها هتلر في كتابه "كفاحي": "**على أنها امتلاك فكرة سياسية جيدة تتلاءم كل التلاؤم مع رغبات السكان، و تترجم هذه الفكرة على صيغة بسيطة مؤثرة تردد بلا كلل** "[2]، إذ يجب على الفكرة السياسية أن تكون فكرة ملائمة لمختلف شرائح المجتمع، تؤثر على الرأي العام الداخلي المحلي خاصة، وتسعى لإقناع المتلقي (الجماهير الشعبية) بصحة آراءها وترسيخ مجموعة من القيم للمتلقي وحمله على تغيير نمط سلوكه العام[3]، وغالبا ما تنشر الدعاية عن طريق وسائل بسيطة مثل الأخبار المنقولة همسا من شخص لأخر، أو توزيع منشورات[4]، أو الشعر الملحون، أو عن طريق الدعاة و مقدمي الزوايا، كما هو الحال في انتفاضة 1871، ولنجاح الدعاية ينبغي تزويدها بأحداث مهمة مثل نجاح عملية عسكرية، فمثلا كان خبر تحرك جيش المقراني يؤثر إيجابيا في نفوس أنصاره.

تعتبر التعبئة الشعبية في العلم العسكري الحديث أهم عوامل النصر والنجاح في أية حرب، لهذا فهي لا تنفصل عن التعبئة المادية، إذ أنه بقدر ما يكون الجيش معبئا بشريا وماديا ونفسيا للقتال، تكون عوامل النصر في الحرب مهيأة له، ويكون إعداد الجيش بشريا باستنفار الأمة للقتال، وماديا بإعداد السلاح والعتاد، ونفسيا بتحريض الأمة على القتال وحضها عليه، وتثبت في المقاتل عقيدة يستحق أن يستشهد من أجلها باعتبار من مات في الجهاد شهيدا[5] .

فالباش أغا محمد المقراني أراد من اليوم الأول أن يكتسب تأييدا محليا للأعيان و النبلاء، من ذوي السلطة والقرار كما تذكرهم المصادر، حيث أراد هذا القائد الذكي إنشاء رابطة الأسياد، ثم دخل في تحالف ديني أكسب انتفاضته الشرعية الدينية، فالشيخ الحداد كان الزعيم الروحي لطريقة سيدي عبد الرحمان بوقبرين التي امتد مذهبها من الجزائر حتى تونس، فالدعم والتعبئة الشعبية كما يعرفها المنظرون العسكريون هي قيام ثورة ما بتأييد شعبي فلا يمكن قيام ثورة دون الشعب والذي يعتبر حليفا طبيعيا وأساسا لنجاحها[6] فالانتفاضة ما كانت لتنطلق لولا انضواء المقراني تحت راية الإخوة الرحمانيين، والذين لعبوا دورا فعالا في استمالة أغلب الشخصيات

البارزة في الجزائر والذين صاروا قادة الانتفاضة، فحيلة المقدم محمد الجعدي مثلا الذي استغل سوء التفاهم بين الضابط المكلف في الفورناسيونال والقائد علي أوقاسي، الذي أصبح خليفة المقراني في المنطقة، كما استمال الإخوة الرحمانيون المتخفين في هيئة تجار العسل والشمع القائد عبد المالك البركاني في بني مناصر بمدينة شرشال ومجاورها.

يذكر الكولونال روبان Robin [7] أن المقدمين كانوا يمشون في الأسواق والمساجد بين الناس يدعونهم للجهاد، حفاة يحملون المصاحف فوق رؤوسهم، وينشرون الأخبار عن انتصارات قادة الانتفاضة وعن مدى اتساع رقعتها [8]، فخبر اقتراب المقراني بعشرة آلاف فارس كان كفيل في الدعاية واستمالة النفوس المترددة، كما كان رفع راية والي صالح كفيلة بإشعال فتيل معارك طاحنة، ففي معارك باليسترو[9] مثلا قام مقدم الزاوية محمد بن لونيس وهو يمتطي بغلة دهماء ويحمل راية بابا علي بحشد الوحدات وحصار منازل المستوطنين والدرك، فالتأثير في حرب الدعاية نفسي أكثر منه مادي، ومن هنا تعتبر الدعاية مناورة لابد من تحيينها باستمرار مع الوضع العام مع تحليل الأخبار قبل نشرها تحليلا سياسيا ذكيا[10].

2. مبادئ التعبئة الشعبية في انتفاضة 1871.

اعتمد قادة انتفاضة 1871، في التعبئة الشعبية والدعاية العامة "التحريض وكسب الأنصار" كما تعبر عنه المصادر الفرنسية لويس رين Louis Rinn [11]، على مجموعة من المبادئ والأساليب أساسها دعاية التأطير العقائدي والتوسع والاستقطاب حيث يعتمد الداعية في ترويج أفكاره وآراءه ومواقفه على مجموعة من الوسائل من منشورات وخطب وعلاقات شخصية، وغايته في ذلك النفوذ لبعض الأوساط الراقية والجماعات السياسية أو الدينية، على غرار علاقة المقراني بزاوية صندوق، وهذا لإنشاء وعي جماعي يعرفه كارل ماكس بالوعي الطبقي **class consciousness**، وهو جعل الأفراد الذين ينتمون إلى مجموعة واحدة يشعرون بوجود مصالح مشتركة، وأعداء مشتركين، وأنهم يمثلون معا قوة ضاربة[12]، و يمكننا تلخيص مبادئ الدعاية عند المقراني في ثمانية نقاط هي:

أ. مـــبدأ العــمل من خلال تنظيم عقائدي (الجهاد)

يعرف على أنه إدارة الحرب من خلال تنظيم سياسي أو ديني[13]، فهو يعتمد على قائدين أحدهما عسكري وأخر إما قائد سياسي أو زعيم روحي، فانتفاضة المقراني والحداد اعتمدت على القائد السياسي للثورة المتمثل في شخصية الباش أغا المقراني ومجموعة من القادة العسكريين والمخططين للمعارك يتقدمهم القائدين مصطفى بومزراق وسي عزيز، أما الشيخ الحداد فهو الزعيم الروحي والذي يمثل المرجعية الدينية في الانتفاضة.

فحرب العصابات في حاجة لعنصر الالتزام ومركزية التخطيط، والتوجيه الديني و السياسي لمواجهة التفوق المادي والمعنوي للعدو، فتقنع مناضليها بالمثابرة والصمود والمقاومة مثلما هو الحال عند قادة المقاومة الذين استغلوا مبدأ الجهاد معتمدين على الزاوية الرحمانية ومقدميها الذين طبقوا "**مبدأ العمل من خلال تنظيم عقائدي**" والذي يعرف كذلك بحشد القوى المعنوية[14]، كما أن عنصر الالتزام والخضوع التام للتنظيم العقائدي و القائد كان بغرض الطاعة بأسلوب الضبط والربط[15]، فبمجرد إعلان الشيخ الحداد للجهاد وبعد مرور ثمانية أيام، حتى اصطف أمامه حوالي 10 ألاف مقاتل من مقدمي الزوايا من صدوق حتى شرشال، وصولا للقل، ناهيك

عن باقي المقدمين التابعين للطريقة من كل أنحاء الجزائر، بل وتعدتها للرحمانيين في تونس، فالسي عزيز ابن الحداد كان يعتمد على فرق نظامية مكونة من مقدمي الزوايا الذين امتازوا بالطاعة التامة لقائدهم وشيخ زاويتهم وطريقتهم الرحمانية[16].

إذا كانت أسباب الانتفاضة بكل مدلولاتها السياسية والاقتصادية، تغلب ربما على الجانب الديني فإن الباش أغا المقراني وغيره من قادة الانتفاضة اعتمدوا على الطريقة الرحمانية للدعاية والتعبئة الجماهيرية، وبطريقة ذكية استغلوا مبدأ الجهاد بكل ما يحمله من روحانية وقداسة في عقيدة الفرد الجزائري المسلم، فمنذ عهد الرسول صل الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده والدول الإسلامية المتتالية، نلاحظ اعتمادهم على عبارات وشعارات "الجهاد في سبيل الله و قتال الكفار وطردهم من ديار الإسلام، والموت تحت ظلال السيوف"، فالجهاد هو الشكل الإلهي للقتال في الإسلام أو هو الصيغة المقدسة التي قدم الله عز وجل بها القتال للمسلمين، وهو بتعبير أخر القتال في سبيل الله ونشر الحق، كما عرفه صاحب كتاب محيط المحيط[17] "**القتال محاماة عن دين الحق**"، ويعرف عند النصارى بالحرب المقدسة، وفسره الإمامان[18] على أنه جهاد الحرب أو نفس، وهو في نظر الإسلام حرب مشروعة[19]. كلها أحاديث واردة عن النبي صل الله عليه وسلم، حيث أعطى مبدأ الجهاد شرعية دينية للانتفاضة وقبولا لدى مختلف شرائح المجتمع الجزائري آنذاك من مقدمي زوايا، وأعيان، و شيوخ قبائل، و باقي الجماهير الشعبية.

تدفقت القبائل بمجوعات على سوق مسيسنا وهذا في صباح 8 أفريل 1871[20]، تلبية لنداء الجهاد الذي وجهه الشيخ الحداد، فخرج إليهم الشيخ الذي كان معتكفا هناك منذ سنوات، وبرز إلى الجماهير مستندا على كتفي ولديه، تحيط به نخبة من مقدمي الزاوية و أتباعه، وبعد تلاوة أدعية مطولة وفقا للشعائر المتبعة لدى الطائفة الرحمانية، أعلن الشيخ الحداد أمام الملأ أن ولديه هما خليفتاه اللذان ينوبانه، ثم تلا على مسمع الأتباع الحاضرين بيانا يحثهم فيه على الجهاد ثم رمى بالراي

ة قائلا:" **أن النبي محمدا صل الله عليه وسلم هو من قدمها له ليلا**"، وألقى عصاه وسط الحضور صارخا فيهم سيكون من اليسير إلقاء الفرنسيين في البحر بعون الله، فكان حماس المريدين فياض، إذ لم تمضي بضعه أيام حتى استجاب أزيد من مائة ألف متطوع لنداء الشيخ ذي الثمانين عاما، جاؤوا لدعم قوات الباش اغا، فانضمت القبائل المنتشرة من أحواز مدينة الجزائر إلى الحدود التونسية[21].

حسب رأي النقيب رين لم تكن هذه الدعاية للجهاد سوى "طقوس دينية" تذكرنا بعصور مضت،و أن سي عزيز و القادة الآخرين لم يعتبروا الجهاد سوى وسيلة عملية لتحقيق الغرض المنشود في الدعاية والتحريض على الانتفاضة فلم يكن سي عزيز من المتعصبين الدينيين، فخطاب الحداد يستند على اعتبارات سياسية محضة، بالرغم من أن نص الخطاب يحمل في طياته وعودا بدخول الجنة والرحمات والمغفرة، لكنه يبقى مجرد إعلان سياسي صرف تمت صياغته بطريقة ولهجة مناسبة لبلوغ الهدف المنشود، من طرف رجل يتميز برباطة جأش وتقدير الجوانب الايجابية والسلبية، ويوظف بذكاء نفوذه الديني والروحي على الجماهير التي يريد دفعها لخوض المعركة، وفي نهاية المطاف فإن الدعاية الدينية لا تعدو عن كونها أداة في يد الشيخ الحداد ليصبح الجهاد مجرد وسيلة عملية يستخدمها لكسب الأنصار والتعبئة الشعبية لخوض غمار الانتفاضة المسلحة مع المقراني[22]، وسواء

كان رأي رين صائبا أم لا فإن العبرة بالخواتيم، حيث أعطى الشيخ الحداد الضوء الأخضر لمقدميه الذين تحركوا في كل الجهات وقادو الناس للجهاد أفواجا بدون صعوبات[23] .

فالجهاد إنما هو حرب كبقية الحروب تحكمه جملة من القواعد والقوانين ذات الاعتبارات الإنسانية حيث يجمع الفقهاء وعلماء الدين والقضاة المسلمون على أنه في حالة الجهاد من أجل الفتح أو التوسع، يجب دائما تخيير الأعداء من غير المسلمين بين أمرين إما الدخول في الإسلام أو دفع الجزية، وفي حالة اختيار أحد الأمرين تترك لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية دون إزعاجهم[24]،فجميع مقدمي الزوايا أو معظمهم يعرفون ما جاء في كتب الدين من أحكام بخصوص المجاهدين الذين يحاربون من أجل إعلاء كلمة الله، حيث يتوجب عليهم قتال المحاربين، دون المساس أو الاعتداء على غير المحاربين من النساء و الأطفال والشيوخ العجزة، ولقد حاول قادة الانتفاضة على اختلاف مراتبهم سواء منهم العلمانيون (يقصد الطبقة البرجوازية) والمتدينون (يقصد بهم مقدمي الزوايا)، الالتزام بتلك الأوامر والنواهي وتطبيقها، إذ كانوا يخبرون المستوطنين في كافة الأرياف عموما، عن إعلان الحرب عليهم قبل الشروع في مهاجمتهم[25].

فور الإعلان عن الشروع في الجهاد بحصار برج بوعريريج في 16 مارس1871[26]، توالت الأحداث بوتيرة متسارعة فأوفد سي عزيز عددا من المبعوثين عنه يسمون بالرقباء ويعتبرون نخبة الحركة الرحمانية وهم في الوقت نفسه موفدون دبلوماسيون تخول لهم بعض الصلاحيات من طرف مقدمي الزوايا الأخرى ، ليحثوا من كان حماسه الديني بحاجة إلى التحفيز لاسيما أتباع الطريقة الرحمانية الذين ليسوا من مريدي زاوية الشيخ الحداد، فكان مجرد إشعال النار على قمة أحد الجبال المجاورة لصدوق بمثابة إشارة البدء في الجهاد من مدينة الجزائر إلى فيليب فيل[27]، وما إن صدرت الإشارة المتفق عليها حتى شرع مقدمو الزوايا في تنفيذ الخطة، فلم تمضي خمسة عشر يوما حتى فرض الحصار على المواقع الفرنسية المحصنة في بجاية، والفورناسيونال[28]و دلس، و تيزي وزو و ذراع الميزان[29]و باتنة، وتشكلت وحدات قتالية للاشتباك مع القوات الفرنسية في المناطق الريفية، واحتاج الأمر تسعة أشهر وتجنيد 20 طابور لكي تتمكن القوات الفرنسية من فك الحصار المضروب حولها في عدة نقاط، والتي تتراوح مابين اثني عشرة إلى خمسة عشرة موقع مختلف[30].

وفي هذا الصدد يقول الكولونال روبان:" ... **وبدأت التحركات المتواصلة للإخوان و المقدمين باتجاه صدوق تثير انتباه المسؤولين الذين باتوا عاجزين أمام الخطر المتنامي الذي بدأ يتشكل، وانتشرت فرق هامة من الأتباع المخلصين تجوب المسالك الضيقة مرددة أناشيد دينية، بأرجل حافية، ونظراتهم زائغة وحائرة يسيرون بخطى ثابتة غير مبالين بالتعب ولا العطش وحتى الجوع، والمعاناة التي تسببها الحجارة والأشواك، وتم التحضير لحركة الانتفاضة بحمية وتعصب ديني وبدون تراجع، من جميع أنصار الحرب المقدسة**..."[31] .

ب . مبدأ احتواء الشخصيات المؤثرة (فـــكـرة إنـشاء رابـطة الأسيـاد)

عندما أعلن الباش أغا محمد المقراني الحرب وهاجم على مدينة برج بوعريريج كان قد بدأ في مشروعه الدعائي الرامي لتعبئة الشخصيات المؤثرة والجهات الضاغطة في الجزائر، والمتمثلين في رؤساء الأهالي والقياد، أو من بين سكان السهل لتعبئتهم واستدراجهم، خاصة وأن الباش أغا المشهور بتبصره وبعد نظره على عكس المقربين منه لم يكن يميل لأنصاف الوعود الشفهية التي قدمها له العديد من أصدقائه، وكان يعتقد أن أغلبهم،

سوف يحجمون عن توريط أنفسهم وسيفضلون الحفاظ على ثرواتهم، بدل المجازفة بخسارة امتيازاتهم والحرمان من حياة الرفاهية، ومع ذلك كان يأمل في أن يجد لدى حلفائه و أصدقائه بسهل مجانة، عددا من الرجال ذوي المروءة والفخر ممن لن يترددوا في الانضمام إلى صفه ومساعدته على تأسيس رابطة قوية من كبار الشخصيات التي يمكن التعويل عليها في مجمل التراب الوطني مما سيضطر الفرنسيين أن يحسبوا لها ألف حساب[32].

لم يدخر الباش أغا المقراني جهدا لتحقيق هذه الغاية، ولم يكن اهتمامه في البداية ينصب على قيادة وحداته إلى المعركة بالقدر ما كان حريصا على إبرام التحالفات، وكانت له بهذا الخصوص مراسلات عديدة سواء باسمه أو باسم أحد المقربين منه، فمثلا كان آل بن قانا من بسكرة من أشهر أصدقائه وكانت تربطهم منذ شهر أكتوبر 1870، مع مجانة علاقات صداقة متنامية، إلا أنهم كانوا بهذه المناسبة من أوائل الذين تنصلوا من هذه الصداقة التي قد تعود بالضرر عليهم، لكن مع هذا وقف في صفهم قايد صحاري بسكرة محمد بن هني بن بوضياف وأخوه الساخي بن بوضياف، المنحدران من أولاد ماضي وأولاد بوراس، الذين كانوا يملكون في منطقة بوغار والمدية أنصارا يساوون ما لآل مقران في مجانة[33].

وفي الغرب لم يكن حظ الباش أغا أوفر مع حلفاءه القدامى من أولاد مختار الشراقة الذي تنضوي تحت لوائهم أغلب قبائل بوغار والمدية فأرسل لرئيس هذه العائلة سي علي بن عبد الرحمان رسالة والتي سلمها هذا الأخير للقائد الأعلى الفرنسي والتي جاء فيها:(بعد تحيات المجاملة المطولة) "...**نحيطك علما بأننا شرعنا في الجهاد، وأننا ندعو الله أن يساعدنا في مشروعنا، أي صديقي لقد حانت فرصتك فلا تضيعها إنها فرصة بروز الأبطال الشجعان المجاهدين في سبيل الله ورسوله، إن الواجب يدعو كافة أصدقائنا وأهل ملتنا للتكتل في صفوف متراصة، فبعد أن أمضينا أيامنا لحد الآن هدرا ، تعال لترى بأي همة يتدافع الناس في سبيل نصرة دين الله ورسوله، ندعوا الله أن يمنحك هدايته ورحمته، في حالة تمرد باش أغا التيطري فإننا نناشدك أن تعتبر نفسك كواحد من أولاده وبهدا يكون لك سندا قويا تحيات محمد بن الحاج المقراني...**" 26 ذو الحجة 1287،الموافق ل17 مارس 1871.[34]

هذه النصيحة التي وردت في ختام الرسالة، قدمها رجل أريب وخبير بالنفوس، فالمقراني كان يعرف أن علي بن عبد الرحمان كان يبلغ من العمر حينذاك خمسة وأربعون سنة، بينما كان عمر الباش اغا بن يحي بن عيسى ستة وستون سنة فالأول ينتمي لعائلة من النبلاء و هو سيد مبجل في قومه تبدوا عليه الشهامة و الفروسية، والثاني رجل عظيم يلوذ له الجميع في الشدائد يتمتع بالذكاء والحنكة السياسية والعسكرية، حيث كان الاثنان يتمتعان بفصاحة اللسان وجاءت رسالة القايد بن يحي ين عيسى كالتالي: (بعد تحيات المجاملة المطولة) "...**اعلم أننا أعلنا الجهاد، سنهاجم اليوم برج بوعريريج بحوالي 4.000، فارسا إن شاء الله سنستولي خلال اليوم على جزء من المدينة وسيسقط الباقي أثناء الليل بين أيدينا، ومن المحتمل أن يبقى الحصن وحده يقاوم بفضل أسواره المنيعة، غير أننا سنستولي عليه في ظرف ثمانية أيام وفي حالة خروج طابور سطيف سنترك حصن برج بوعريرج لنخرج لملاقاته وما النصر إلا من عند الله... - ويضيف- يسود هنا حماس فياض من أجل الجهاد، فإذا تمرد المسلمون من كافة الجهات فأقسم لك بالله أننا لن نحتاج لانتفاضة أخرى ، وعليه إن كنت ترغب في نيل حب الله ورسوله فلا تترك هذه الفرصة تضيع منك ، وكم اقترفنا من أعمال وجهود فيما لا يرتضيه**

شرع الله فما نلنا سوى المهانة والمذلة... لكن الإسلام يظل شامخا أبدا، وفي حال موافقتك على مقترحاتنا فليس ثمة داع لنصحك بالمبادرة فورا أنت تعلم أفضل مني أنه لا وقت لتضييعه عندما يتعلق الأمر بشن الحرب وأن لله وحده يهدي لطريق السوي، ولكم السلام من محمد بن الحاج المقراني.." 26 ذو الحجة 1278 الموافق ل17 مارس 1871.[35]

ومن جهته كتب صهر المقراني السعيد بن بوداود قايد الحضنة عدة رسائل لأولاد نايل بالجلفة بتاريخ21 مارس للقايد بلقاسم بن لحرش وفيها: **"...بعد التحيات أقول لكم ما يلي لقد جمع أخونا محمد الباش أغا وحدات التل من نواحي سطيف إلى مشارف مدينة الجزائر، ثم سار على رأسهم جميعا للزحف على برج بوعريريج، فنهبها واستولى عليها ومن هناك توجه مع وحداته إلى مخيم الحاكم بسطيف، سيتوجه اليوم أهل الحضنة من أولاد ماضي وأولاد دراج جميعهم نحو بوسعادة من أجل الجهاد، لقد أحطتكم علما بكل هذا لتمدوا لنا يد المساعدة بخصوص كل ما قلته لكم، عما قريب سوف يتحرك أهلنا جميعا إلى بوسعادة وتحت أسوار الحصن سنقوم بالجهاد .."** كتبت بأمر من السعيد بن بوداود المقراني قايد الحضنة[36].

بينما أولاد سيد الشيخ الشراقة برغم من مكانتهم الرفيعة التي تؤهلهم ليكونوا خير حليف للباش أغا المقراني كانت ظروفهم جد قاسية حيث تكبدوا هزيمة في المغرب عند وادي الشعير سنة 1870، وهزموا أيضا على يد سليمان بن قدور رئيس لغرابة الذي كان أغا على حميان، بينما كان قدور بن حمزة يتفاوض مع الفرنسيين، ومهما كان تعاطف أولاد حمزة مع أولاد مقران غير أنهم كانوا مهتمين بحماية مصالحهم المهددة من طرف أولاد سيد الشيخ الغرابة فلا يمكنهم مغادرة مناطقهم الصحراوية[37].

أما بخصوص الصحراء فكان الشريف بوشوشة[38] يقوم بغارات كثيفة تخدم الباش أغا بل مفيدة له إذا ما استطاع أن ينسب مسؤولية الانتصارات لنفسه ولقد فكر في هذا الاحتمال حيث أوفد مجموعة من المبعوثين عنه للشريف بوشوشة للتعريف أكثر على شخصية هذا الثائر[39].

حاصل القول، أن الباش أغا المقراني لم يستطع أن يضم أغلب العائلات النافذة في الجزائر آنذاك بالرغم من محاولاته وجهوده الكبيرة لتأسيس رابطة الأسياد، مما اضطره للبحث عن طرق أخرى لتجنيد الأنصار، من مختلف مناطق البلاد فاتجه صوب الغرب والشرق والجنوب، أين يوجد أعداء كثيرون للفرنسيين من جهة، وكذا تشتيت القوات الفرنسية وتوسيع رقعة الانتفاضة وتحويل أنظار الفرنسيين عنه من جهة أخرى.

ج. مبدأ الإعلام الدعائي (استغلال قانون مصادرة الأراضي وقرار تجنيس اليهود)

الإعلام الدعائي هو جمع الأحداث وتأويلها أو المراوغة الكلامية **diversion**[40]، وهذا ما قام به سي عزيز مستغلا تعلق الجزائريين بأرضهم، فنشر بعض الأخبار المتعلقة بقانون مصادرة الأراضي والملكيات الخاصة بالقبائل المشاركة في الانتفاضة،حيث استطاع بذكائه أن يوظف الأخبار والأحداث لصالح الانتفاضة، وكانت الحجة الحاسمة التي أقنعت بقية القبائل للانضمام للانتفاضة ،هي تلك الحجة التي قدمها المقراني أولا،وتم نشرها وتضخيمها من قبل مبعوثي سي عزيز، والتي مفادها أن فرنسا تعتزم حجز أراضي الأهالي لتوزيعها على الفرنسيين القادمين من أرض الوطن الأم الذين فقدوا ممتلكاتهم جراء الحرب مع بروسيا، كما تقرر توزيع أملاك الأهالي على المستوطنين المقيمين في الجزائر خاصة اليهود الذين أصبحوا زعماء فاعلين وشخصيات مرموقة في

الحكومة، خاصة بعد قرار منحهم الجنسية وتنصيب اليهودي كريميو رئيس مندوبية الحكومة الفرنسية، والتي أثارت غضب الشارع الجزائري وهذا ما استغله المقراني وأخوه بومزراق في الدعاية والتعبئة[41].

رد الباش أغا على تصريح كريميو القاضي بتجنيس اليهود كان شديد اللهجة، حيث خاطب مرافقيه قائلا أيهودي يسمح لنفسه بمخاطبة المسلمين وكأنه رئيس دولة، ما رأينا ولا سمعنا بهدا، ثم رد كتابيا للسلطات الفرنسية:"... **لن أخضع أبدا ليهودي...لأن يقطع راسي بحد السيف أفضل عندي من الرضوخ لسلطة يهودي كلا لن يحدث هذا أبدا...**"، لقد أضحى تصريح الباش أغا حديث العام والخاص في المقاهي الشعبية، والمساجد، والفنادق والأسواق، وكانت أبسط تعليقاتهم أنه لم تعد فرنسا شيئا مذكورا، طالما نصبت على رأسها يهودي يحكمها، وقالوا كذلك أن هذا من علامات الساعة وأن الله أعمى بصائر الفرنسيين، وأن هذه بادرة نصرا قريب،وأنها الفرصة للإعداد لخوض الجهاد وطرد الفرنسيين من الجزائر[42] .

فالهدف من وراء تسريب تلك الأقاويل هو إثارة حفيظة الجزائريين المشهورين بتعلقهم الشديد بالأرض ولتعزيز تلك الحجة لجأ عزيز وآل مقران والطلبة ممن يقرؤون الصحف الفرنسية، بترجمة ما ينشر فيها مع المبالغة في تضخيم منطوق الوثائق الرسمية، والمقالات الصحفية المتعلقة بالملكيات العقارية المزمع منحها في الجزائر للنازحين من مقاطعتي ألزاس واللورين[43]،وبناءا على أقوال سي عزيز والمقربين منه فالأمر يتعلق بتجريد كافة ممتلكات الأشخاص المنتمين لما يربوا عن 30 قبيلة أو عشيرة ممن انضموا لتمرد الباش أغا، وسوف ينجر عن هذا القرار حسبه ،عواقب وخيمة على أزيد من 100.000 من الأهلي سيطردون حفاة عراة من أراضيهم، ويرغمون للنزوح نحو أراضي الجزائريين مما سيكون له أثر سيء حتى على الذين لم يتمردوا، و أما أن تخرب أراضيهم أو يحملون السلاح لصد أولئك المساكين الذين هم في الحقيقة ضحايا جشع المسيحيين، وذلك ما يتداول من أقوال على ألسنة الناس العقلاء الذين يقرؤون النصوص المكتوبة أو المطبوعة والذين يخوضون في المواضيع الجدية[44].

3.أساليب الدعاية والتعبئة في انتفاضة 1871.

أ. الـــشـعـــر

يعتبر الشعر الملحون الوسيلة الوحيدة التي تتغنى بعبارات ذات طابع ملحمي بالبطولات الأسطورية والشجاعة بوصف الأبطال في ساحات الوغى وفروسيتهم في المعارك وبلائهم ضد الأعداء، فدور الشعر هنا هو تجميل الماضي كضرورة نفسانية في أزمنة الحرب وفي أوقات الإحباط التي تتلو الكوارث الوطنية، فالشعر كان دوما مصاحبا لقضايا الشعوب فكل قصيدة مربوطة بحدث معين أو لغرض كسب الأنصار والدعاية والتحريض، لذلك تم حفظ العديد من هذه الأشعار التي ألقيت في حالات الألم واليأس والفجيعة، فبعد استيلاء الفرنسيين على مدينة الجزائر سنة 1830، كتب شاعر من مدينة الجزائر اسمه عبد القادر قصيدة طويلة تصور المشاعر في هذه الوضعية المؤلمة للأمة

، وهذا مطلع القصيدة كما نشرها الباحث الفرنسي ديبارمي J.Desparmet [45]، في المجلة الإفريقية سنة 1930، وهي كالأتي:

حسراه وين ذيك المرسى وغنايم القهاوي وملف

اقطر مات بيهم الرصا بسناجق الحرير ترفرف
قرصان داخلة للمرسى قداش من أسير مكتف

وفي مدخل هذه الدراسة عن القصيدة يؤكد ديبارمي حسب الكتاب الذين رووا له القصيدة والقصة أنه منذ حوالي مئة سنة كانت هذه القصيدة تناقلتها الألسن من قرية لأخرى ومن سوق لأخر كمرثية عن سقوط الجزائر فكان السخط يتنامى في كل مكان تنشد فيه، وإنها ساهمت بشكل كبير في كل الثورات التي قامت بالجزائر من حركة بن زعموم سنة 1830، حتى انتفاضة مارغريت سنة 1901[46] .

تغنى الشعراء بالباش أغا وسجلوا كل معاركه، حيث لعب الشعر والشعراء آنذاك دور المثقفين في المجتمع الجزائري، فهم من زرعوا بذور الأخوة والحماس بين الجماهير الشعبية، وهم من استطاع لم الشمل وتوجيه الجهود للدفاع عن الحوزة الترابية والمقاومات الشعبية والشخصية، فالكلمات الشفوية المعبرة عن رفض الاستعمار التي قادها مجموعة من الشعراء و التي مثلت إذاعة شعبية متنقلة بين أفواه الجزائريين، ترصد كل كبيرة وصغيرة، و تزرع الأمل والحماس في نفوس الجماهير الشعبية[47].

ومن أبرز المقاومين الذين خلدهم الشعر الشعبي نجد الباش أغا محمد المقراني، والذي استغل هو الأخر هذا الشعر لصالحه في التعبئة الشعبية والتحريض لانتفاضته رفقة الشيخ الحداد، لذا سنتطرق لثلاث قصائد على سبيل المثال لا الحصر، واحدة بالقبائلية وإثنتين بالدارجة الجزائرية، القصيدة الأولى للشاعر محند موسى من آيث واقنون، والتي بين فيها بطولة المقراني وشجاعته بوصفه بالأسد الشجاع، والنجم الساطع، زعيم المقاومة، كما وصفه بالفارس حامل البندقية الذي يلعب بالحصان وأنه نعم القائد حيث يقول :

الشيخ محمد ايث مقران ذا قور قريثران ، ومعناه الحاج محمد المقراني قمر بين النجوم
يرفذ أو طاغون حامل البندقية
أفو عوذيو يقسالي فوق حصانه يلعب

كما وصف هذا الشاعر امتداد الانتفاضة الجغرافي بقوله:

تاموت اوك مي ذمحا قام ، اي كيف انتفضت كل البلاد
ذنفخ يغليد افلخلقيس ، اي انتشرت المقاومة في كل البلاد.
سي بودواو ارمي ذو دريس ، اي من بودواو حتى اودريس
ذي ايث وغليس ، اي حتى منطقة ايث وغليس
سي برج بوعريريج ارالحمام ، حتى برج بوعريرح والحمام ميشلي[48].

فالشاعر في هذه القصيدة يحدث الناس عن الامتداد الجغرافي للمقاومة في بدايتها وقوتها فقد امتدت من مدينة برج بوعريريج لغاية زاوية محمد اودريس، وعين الحمام وميشلي وكامل منطقة القبائل، حتى بودواو ومشارف مدينة الجزائر، فالهدف الرئيسي من هذه القصيدة هو تمجيد الحركة والتذكير بها من أجل الإبقاء على جذور المقاومة والصمود والتفاف الشعب الجزائري حول هذه الانتفاضة في شكل من أشكال التعبئة الشعبية و الدعاية رغم أن الامتداد الجغرافي للانتفاضة[49] كان أوسع من هذا النطاق الجغرافي المذكور في القصيدة[50].

أما القصيدة الثانية فهي لشاعر مجهول كتبت بالعامية يشير فيها إلى التجنيد الإجباري للجزائريين في حرب فرنسا ضد بروسيا سنة 1870، واستغلالهم لإمكانيات البلاد ونتائجها على الجزائريين في شكل تلميح لأسباب الانتفاضة، كما يشير لقيام سي عزيز ابن الشيخ الحداد زعيم الطريقة الرحمانية بإعلان الجهاد والتفاف الجماهير الشعبية حوله خاصة أتباع الطريقة الرحمانية من مريدين ومقدمي الزوايا، وانضمامهم رسميا لانتفاضة المقراني، وتحول الزاويا التابعة للرحمانية مركزا لنشاطه وتنظيم خلايا المجاهدين، وهي الوسيلة الأولى لزراعة الحماس في صفوف الجماهير ودعوتهم للجهاد، بجانب قائدهم المقراني، كما يعيد علينا الشاعر ذلك التضامن الذي أبداه أتباع الطريقة الرحمانية مع قائد من غير أتباعها بل من طبقة ارستقراطية وتحول الانتفاضة من طابع ارستقراطي إلى طابع ثوري ديني تتمتع بعدة امتيازات[51] فيقول الشاعر:

حنا شرفا وأسياد وطننا نطهروه
ماينفعنا تنهاد مع القوم الجحاد
خطفو منا الاو لاد شعبنا شردوه
قال عزيز الحداد يالكرام يالجواد
من الظلم والفساد شعبنا ننقذوه
فرسان غزار شد اد في وجوه العناد
نحفروله الالحاد نخليو دار بوه

في هذا المقطع الأول إشارة لمشاركة الجزائريين في الحرب البروسية الفرنسية سنة 1870، في قوله خطفوا منا الأولاد وشردوا الشعب بقوانينهم التعسفية الجائرة وهي إشارة لبعض أسباب **الانتفاضة الاقتصادية، كما ذكر الاتحاد بين الشرفا أي الشرفاء من نسل الرسول صل الله عليه وسلم في** إشارة لاتحاد شيوخ الزوايا الصوفية ومريديها تحت قيادة الشيخ الحداد وابنيه سي عزيز والشيخ محمد وبين الأسياد الارستقراطيين كآل المقراني، ويشير كذلك لنداء سي عزيز وإعلانه الجهاد ضد الكفار، والظلم الاجتماعي، والفساد وضرورة إنقاد الشعب وهذا عن طريق الدخول تحت راية الانتفاضة التي تحتوي على فرسان أقوياء كثيري العدد تقف في وجه المحتل الفرنسي المعاند وهذا في قوله فرسان غزار شداد[52] .

أما المقطع الثاني فهو موجه للجزائريين للالتحاق بالانتفاضة والذي يدعوا فيه الناس للجهاد ضد الفرنسيين من أجل استعادة الحرية أو الاستشهاد في ساحات القتال، كما وصف المقراني بالشجاعة والإقدام، ووصف الفرسان والقادة الآخرون أنهم أكفاء في تنفيذ الخطط ومصاولة الأعداء، فالقوة كل القوة في انتخاب القادة حاملي الألوية وهذا من خلال قوله ،كما وصف المجاهدين بالفرسان المحاربين الذين لا يخافون الموت يحاربون بأرواحهم وعواطفهم في ثبات وإيمان، فكانت شجاعة المجاهدين تبلغ الشجاعة المتهورة، ففي إحدى معارك الأربعاء ناث ايراثن ربط المجاهدون بعضهم ببعض حتى يشاركوا بعضهم في الاستشهاد ولم يخفي الفرنسيون إعجابهم بهذا النوع من المقاتلين وذلك في تقاريرهم الرسمية لرؤسائهم، حيث ذكر هذه الواقعة الكولونال روبان في مقاله عن المسبلين في انتفاضة 1871 [53].

وكل هذا في قوله:

المقراني بسلاح عول على الكفار
قام ودار لبراج يا أهلي الموت خير
المقراني نوار بحال شلة رجال
بعساكرهم دمار في الحد شحال
مهد معارك وطراد الدم تم دارو واد
شعب كبير للميعاد لأعمارها مسبلة[54] .

أما القصيدة الثالثة فتعود لشاعر منطقة ونوغة وبني يلمان [55]، الحاج الطاهر بن تريعة[56]، التي وصف فيها قوة عرشه بني يلمان، معلنا ولائهم التام لقائدهم مصطفى بومزراق الذي أبلغهم بقيام الانتفاضة، وجاء فيها:

نبكي على الملاح أرجال اللوم عرشي معروف سور العناية وتاهم
نخبات مسبلين كيف يعود الشوم إذا اكبر النهار الأحمر تلقاهـــــم
إذا خرجو للعدو يغدا مهزوم من بكري شايعين والنصر معاهم
اللي حاصل ينعوه طيور الحوم روبة الأعراش ربي معاهـــم
تلقى الإخوة صفهم ديما ملموم ذكر الجليل طايعين الملاهـم
أسبوعة مكشرين فالطارف معلوم في فم القطان تم مراساهـــــم
شر لي دهموه مابقى في عمرو يوم وآخر سابع راه للأهل أعزاهـــم
اغروز طايقين ما فيهم مذموم يا جايح روح لا تقرب لبلاهـم
إذا فزعوا كل واحد ينطح قوم شافت عيني نقول مانيش واهـــم

فالقصيدة عموما هي وثيقة تعطينا صورة عن عرش بني يلمان والدور الذي لعبوه في انتفاضة1871، تحت قيادة مصطفى بومزراق المقراني[57]، و للشاعر الحاج بن تريعة قصائد طويلة تطرق فيها للأوضاع الاجتماعية المتردية التي فرضها الاستعمار الفرنسي على الجزائريين، والمجاعة التي ضربت الجزائر قبل انتفاضة 1871، ومما جاء فيها:

محنة تروح وأخرى تأتي للمسلمين الشر والمذلة و الأيام أطوالو [58].

ب. كسب التأييد الخارجي

قام المقراني بإرسال مذكرة لاستعطاف ملكة انجلترا ، ورسالة استنجاد لسلطان عبد العزيز **وذلك** من أجل كسب تأييد خارجي وشرعية دولية لانتفاضته، و في إطار الدعاية لقضيته الوطنية استغل المقراني علاقاته الخارجية بحكم زيارته لفرنسا وربط بعض الصداقات هناك، وفي إطار فكره الاستراتيجي رأى أنه من الواجب أن يوصل صدى انتفاضته وقضيته لمسامع أقوى دول العالم، فبعث برسالة استعطاف إلى ملكة انجلترا، ورسالة استنجاد للسلطان عبد العزيز، فيذكر لويس رين في هذا الصدد مايلي "...**وفي هذه الأثناء، واصل مقدموا الزواية دعايتهم التحريضية،وهم أناس ذوو ذكاء وقاد وخيال خصب بالحيل والمناورات من كل نوع، على رأسهم قائدهم سي عزيز ابن الحداد، حيث سلمنا للحاكم العام وثيقة مؤرخة في 20 أفريل، يلتمس من خلالها مائتان وأربعة عشر من أعيان الأهالي المساعدة من بطش الفرنسيين، موجهة "إلى صاحبة الشأن الجليل**

الجوهرة التي لا تقدر بثمن فخامة الملكة النبيلة التي يلجأ إليها جميع الملوك طالبين المساعدة، صاحبة الجلالة والشرف الرفيع ملكة انجلترا"، وتضمنت هذه المذكرة نقدا لاذعا إزاءنا واتهمنا بمصادرة ممتلكات الأهالي وبخاصة أملاك الحبس والأوقاف المخصصة (لجوامع مكة والمدينة)، وبتعطيل القضاء وفق الشريعة الإسلامية، وبالقيام بالدعاية الدينية "لدرجة أنهم صاروا يخشون إن يتكرر ما وقع في الماضي باسبانيا، عندما أرغم أسلافهم على تغيير عقيدتهم، ثم تطرقوا لمعاهدة سنة 1815، بالقول أن جنودنا يتلقون الأمر بإطلاق النار على المساجين، وبحمل الأطفال الصغار على رؤوس الحراب ورميهم في النار، وقتل النساء بطريقة وحشية، ثم أعلنوا في ختام المذكرة أنهم أرسلوا نسخة من هذه الرسالة إلى سلطانهم وسيدهم عبد العزيز، مع رجاء إبلاغها للقوة العظمى، ثم طالبوا بإرسال عمارة من الأسطول الانكليزي لحمايتهم... "[59].

يستدل من ثنايا أسلوب هذه المذكرة أنها حررت من طرف موريسكي مدينة الجزائر، وقد ذيلت بعدة توقيعات، ولا يهم أن تكون حقيقية أو مزورة،فهي أسماء لبائعي التبغ وطلبة الزوايا، من نسل شخصيات كانت ذات شأن وجاه فيما مضى، وقد احتل قائمة التوقيعات اسم السيد محمد أمزيان بن الحداد أكبر شيوخ الطريقة الرحمانية في صدوق، ثم أردف اسمه بتعليق مفاده "نيابة عن أهله، ثم تلته توقيعات الباش أغا المقراني، ثم القايد علي أوقاسي من تامدة، وحمودة بن شيخ بلاد قسنطينة، وهو من وقع خطاب 29 أفريل الموجه من سكان قسنطينة للحاكم العام، ثم مدير المدرسة الإسلامية الفاضل حسين بن بريمات، ثم المساعدين في المجلس العام والإفتاء ورؤساء مقاطعات وهران .الخ [60].

وحسب لويس رين فإن مقدمي الزوايا بالمدينة، هم الذين كتبوا الرسالة بغرض جلب المزيد من الأنصار إلى صفوف الانتفاضة، حين يقرؤونها على مسمع سكان ضواحي مدينة الجزائر، وربما توجد علاقة بين هذه المذكرة المؤرخة في 20 أفريل، والهجمات التي أشيع عن حدوثها يومي 29 و 30 في كافة أرجاء المتيجة[61]، رغم أن هذه الهجمات لم تنفذ بل كانت مجرد إشاعات أطلقت خصيصا لتشتيت القوات الفرنسية المتمركزة في مدينة الجزائر و الحراش و ألما ALMA [62].

ج. أسلوب الــتــرهــيــب (العنف والتعبئة)

هو وسيلة من وسائل الضغط الذي يمكن تطبيقه على السكان لمنعهم من التعاون مع الخصم كتقديم المعلومات[63]، حيث يتجه بعض الدارسين إلى أن أعمال العنف والترهيب والتهديد كانت هي الوسيلة الفعالة التي وُظفت لبلوغ تلك النتيجة في التعبئة الشعبية في الانتفاضة، و على غرار ما قام به الباش أغا محمد المقراني وقادته العسكريين، حيث أرسل العديد من رسائل الترهيب والترغيب لأصدقائه من القياد التابعين للسلطات الفرنسية، وكانت أول رسالة من الباش أغا المقراني إلى أعيان عشيرة إيلولا أوزمور يتبرأ فيها من صديقه القديم بن علي شريف ويدعوه للانضمام للانتفاضة أو الحرب وهذا ما تم فعلا إذ قام كل من القائدين سي عزيز وأخوه الشيخ محمد بحصار حصن بن علي الشريف وإرغامه على التراجع وانضمام قبيلته للانتفاضة، بل ونظم بعض المقدمين قصيدة هجاء في حق هذا القايد.

قاد كل من السعيد بن بوداود المقراني مجموعة من الحملات التأديبية والترهيبية في الحضنة ضد قبائل أولاد نايل وإرغام من لم ينظم لصفوف الانتفاضة على دفع غرامات مالية في منطقة أومال[64] والحضنة و كان سي عزيز قد قاد عملية ترهيبية كبيرة في منطقة جيجل ميلة وبابور، حيث عسكر قرب زيامة بوحداته المقدرة ب800، رجل وفارس، وقد أحدث وصول هذه الوحدات صدى كبير في جيجل وجبال بابور، ففي يم 30 افريل 1871، قام بغارات كاسحة على عدة قبائل قصد ترهيبها واستحوذ على ممتلكات القياد التابعين للسلطات الفرنسية، مما أدخل الرعب في نفوس القبائل التي راحت تقدم لسي عزيز الولاء والطاعة، مما أدى لدخول جميع قبائل دائرة جيجل للانتفاضة والتي ذهلت من رؤية وحدات سي عزيز و أصابها الرعب بسبب تصرفاته[65].

كما تمت عمليات مطاردة لعدة قياد وعمليات و اغتيالات، ففي حصار الأربعاء نايت إيراتن مثلا نفذ مقدم الزاوية الشيخ محمد واعلي أوسحنون الحكم بالإعدام رميا بالرصاص في حق مخبرين جزائريين في صفوف الجيش الفرنسي، قبض عليهما وهما يحاولان التسلل للحصن المحاصر، فاستدعيت جميع الوحدات خصيصا لمشاهدة عملية الإعدام ترهيبا لهم في حالة خيانة الانتفاضة والتعامل مع العدو[66].

لذا يمكننا القول أن هذه الأعمال الترهيبية تؤدي لتثبيت مهابة الانتفاضة بالنسبة للسكان، وهذا يعني أن الترهيب يعتبر وسيلة من وسائل الدعاية، فنجاح هذا الأسلوب يؤدي حتما إلى فرض الوصاية على السكان، كما يمكن من خلاله توجيه الضربات إلى صفوف الخصم[67]، مثلما كان الحال في الجزائر، ففي منطقة يسر ومتيجة خاصة مدينة الجزائر آثار المقدمون بلبلة كبيرة، فقد فتشروا أخبارا مفادها انهزام طابور الجنرالين سيريز Cérez و سوسييه Saussier، وانتصار المقراني و بومزراق في مجانة وسطيف، وكذا انتصار سي عزيز وحصار بجاية وبعدها دلس، وأن الباش أغا المقراني قد بعث رسالة لملكة انجلترا لنجدته وإنها قادمة بجيش كبير لنصرة أهل الجزائر، ورسالة أخرى لسلطان العثماني صاحب الحق في حكم البلاد الإسلامية، وأن الانتفاضة وصلت لكل سهل متيجة بداية من يسر إلى شرشال، وغيرها من الأخبار الدعائية، التي تثير التفاؤل في صفوف الجزائريين والرهبة والرعب في صفوف المستوطنين الذين هجروا مزارعهم وتحصنوا في الحصون لمدة تزيد عن 9 أشهر، مما أثار ضغطا رهيبا على الفرنسيين حيث ضاعفوا تدابير الحماية وتشتت قواتهم بين النقاط الخمسة عشر المحاصرة[68].

د. **الحرص على إبراز مظاهر القوة**

حيث كان الباش أغا و قادته يحرصون على الظهور بكامل القوة العسكرية والعتاد، فكانت الفرق المسلحة تغتنم فرصة الاتصال بالقرى والقبائل لتظهر في قمة أبهتها من حيث التسليح و اللباس العسكري على مرأى كل فئات الشعب المصابين بالذهول والإعجاب،وهو ما كان له أبلغ الأثر في تفنيد الدعاية التي تصفهم بالمتمردين Insurgé والخارجين عن القانون، والمغامرين، وإظهارهم -في المقابل- في صورة مجاهدين أتقياء يحضون بثقة السكان ودعمهم[69]، وفي هذا السياق يمكن الاستشهاد بتلك الحادثة التي يذكرها لويس رين حيث تعدى استعراض مظاهر القوة للجماهير الشعبية الجزائرية إلى الفرنسيين أنفسهم فيقول"**... كان الباش أغا المقراني على رأس كوكبة من الحرس بهيجة المنظر تتألف من ثمانمائة فارس في غاية الأبهة من حيث الملبس والتسلح والمظهر والمركوب، فكان حرس الكولونال المكونة من 93 من جنود الخيالة وأربعة من فرسان السبايس، يبدون كمشة تافهة وسط قوات المقراني البديعة التنظيم...**".[70].

هـ. تنـظيم السـكان

وهي الوسيلة الجوهرية في الدعاية و تعني مراقبة السكان بدقة وعن قرب بغية توعيتهم عقائديا ومنع تسلل العناصر المعادية بين صفوفهم، ويتم هذا عن طريق ترسيخ حزب يكون عبارة عن نواة للتقوية والمراقبة و التوعية، عادة ما يتكون هذا الحزب من مناضلين مدربين جيدا ومختارين بعناية فائقة[71] ففي انتفاضة 1871، حلت الطريقة الرحمانية مكان الحزب، ومقدميها مكان المناضلين المدربين حيث اعتمدوا على أسلوب التأثير الإقناعي القوي الذي سجلته العديد من المصادر، والذي أرجعه البعض إلى القدرات الخطابية لبعض أولئك الرواد بينما نعلم أن الرسالة اللفظية لا تمثل سوى نسبة ضئيلة من عملية التواصل، حيث أن الناس يتأثرون أكثر بمن يماثلهم ويتقاسم معهم ذات الخرائط[72]، فكان المقدمون مختارون بعناية لخطاب العقل الباطني للناس ولمس عاطفتهم الدينية خاصة، ولقد اعتمد شيخ زاوية صدوق الشيخ الحداد على شبكة من المقدمين تحت قيادة ابنيه محمد و سي عزيز والتي كانت تغرس في نفوس السكان حب الموت في سبيل الله، وجهاد الكفرة، حيث وضعت في كل قبيل أو عشيرة مقدمي زاوية، امتازوا بالذكاء والمناورات وحسن التدريب العسكري والخطابة ومعرفة نفوس الناس،وامتازوا كذلك بالتدين حيث تعد هذه الصفة أحد أهم القواسم المشتركة بينهم، فكلهم متدينون مقدموا زوايا حفظة للقران الكريم، بل إن منهم من اشتهر بشدة الورع والكفاءة الاتصالية كمحمد امزيان ابن الحداد، حيث تشير المصادر إلى أن أغلبهم كان يتقن فن الكلام أو كما يُقال محليا "إِوْزَنْ أَوَالْ" أي يزن كلماته وذلك بحكم خبراتهم السابقة[73]، حيث يوجد من بينهم أمناء قرى مثل محمد أوسحنون، وشيوخ قبائل مثل أومحي الدين، كانوا ينشرون الدعاية ويحرضون الناس على فرنسا، ويحرصون على معرفة الموالين لفرنسا من الأهالي، فيذكر لويس رين "... **كان عزيز يحاط علما بطريقة دقيقة من طرف الإخوان الرحمانية الذين يختلطون بأتباعنا في كل مكان، ويسجلون كل صغيرة وكبيرة مما يحدث ويقال..."**[74]، لذلك سنتطرق لطريقة سي عزيز في الدعاية والتعبئة وكيفية تنظيمه للسكان والتي كانت على النحو التالي:

الطريقة الأولى، في كل منطقة حل فيها سي عزيز إلا وكان يبادر بجمع الناس حوله ثم يلقي عليهم خطابا حماسيا يترك أثرا عميقا في نفوسهم، ومما جاء في خطاباته أنه ناصح لهم وصادق معهم و إن فرنسا فقدت قوتها، ثم يبدأ بوعدهم بالقيادة والنفوذ، وإذا لاحظ عزيز أن المستمعين غير متحمسين بما فيه الكفاية يسحب من جبيه ورقة مكتوبة، ثم يستأنف خطابه بالقول لقد حمل إلي اثنين من المراسيل، خطابا من أخي المحبوب والتقي سي محمد يخبرني فيه إن جميع مدن الغرب قد دمرت ونهبت، من طرف المسلمين، وأن الفرنسيين لم تبقى لهم هناك سلطة، وأنه أقام هناك دولة إسلامية، وعندها يكبر أنصاره، ثم يطلقون بعض الطلقات النارية وعند سماع البارود تنطلق الزغاريد من الأكواخ.

كان سي عزيز خبيرا بخبايا النفوس، يعلم مدى تأثير ورقة مكتوبة لهذا كان يبادر قبل فض الاجتماع مع شيوخ القبائل إلى تحرير عقود تتضمن تعيين القياد والشيوخ، و يدمغ العقود بختمه ويشفعها باسمه بتوقيع مضاف إليه ألقاب التعظيم مثل "حامي حمى الدين"، "أمير المجاهدين"، ثم يرسل الدعاة لكافة النواحي من بجاية إلى الميلية،و القل،و فرجيوة، معلنون عن انتصاره ويقومون بتعبئة أنصارا جدد في تلك المناطق [75].

الطريقة الثانية، **فكان** سي عزيز لا يمل من إرسال الرسائل تلو الأخرى، إلى وجهاء القوم البارزين، وقد حرر بعضها بطريقة وأسلوب في غاية المهارة والحذق، حيث كان يتحدث فيها عن الجهاد بصفته رجل سياسة أكثر منه داعية ديني، وكان يكيف مضمون كل رسالة وفق مكانة ومرتبة المرسل إليه ويولي كثيرا من الاعتبار لخصوصية طبع ومزاج المرسل إليهم. وفيه رسالتان كتبهما معبرا فيهما عن نيته في حرب القياد الموالين لفرنسا من آل بن حبيلس وآل منيع في منطقة جيجل وميلة[76].

خاتمة

حاول قادة انتفاضة1871، تطبيق مجموعة من المبادئ أبرزها تطبيق مبدأ الجهاد واحتواء الشخصيات المؤثرة في فكرة تكوين رابطة الأسياد، كما اعتمدوا على بعض الأدوات والوسائل في الدعاية لقضيتهم والتعبئة الشعبية منها الشعر الشعبي، وكسب التأييد الخارجي ويتمثل في رسالة لملكة انجلترا والسلطان العثماني.

و باعتبار أن الدعاية لا يمكن أن تكون مجرد خطاب يسقط على الأوضاع السياسية فقط، وإنما هي ممارسات أفرزها الواقع تدريجيا، فرشحت لتصبح سلوكا واقعيا مؤثر في الأحداث، وعلى أي حال فإن الدعاية في انتفاضة المقراني لم تكن لتنجح ولو مبدئيا، لولا قيام الإخوة الرحمانيين إلى جانب المقراني، وخوضهم المعارك معه جنب إلى جنب،و لكن السؤال المطروح هنا لماذا انهارت هذه الحركة بسرعة بعد ذلك وما هو مصيرها؟.

الملاحق:خريطة توضح توسع انتفاضة المقراني والحداد 1871، في الجزائر.

المصدر: Louis Rinn, **Histoire de L'insurrection de 1871 en Algérie**, Tom2

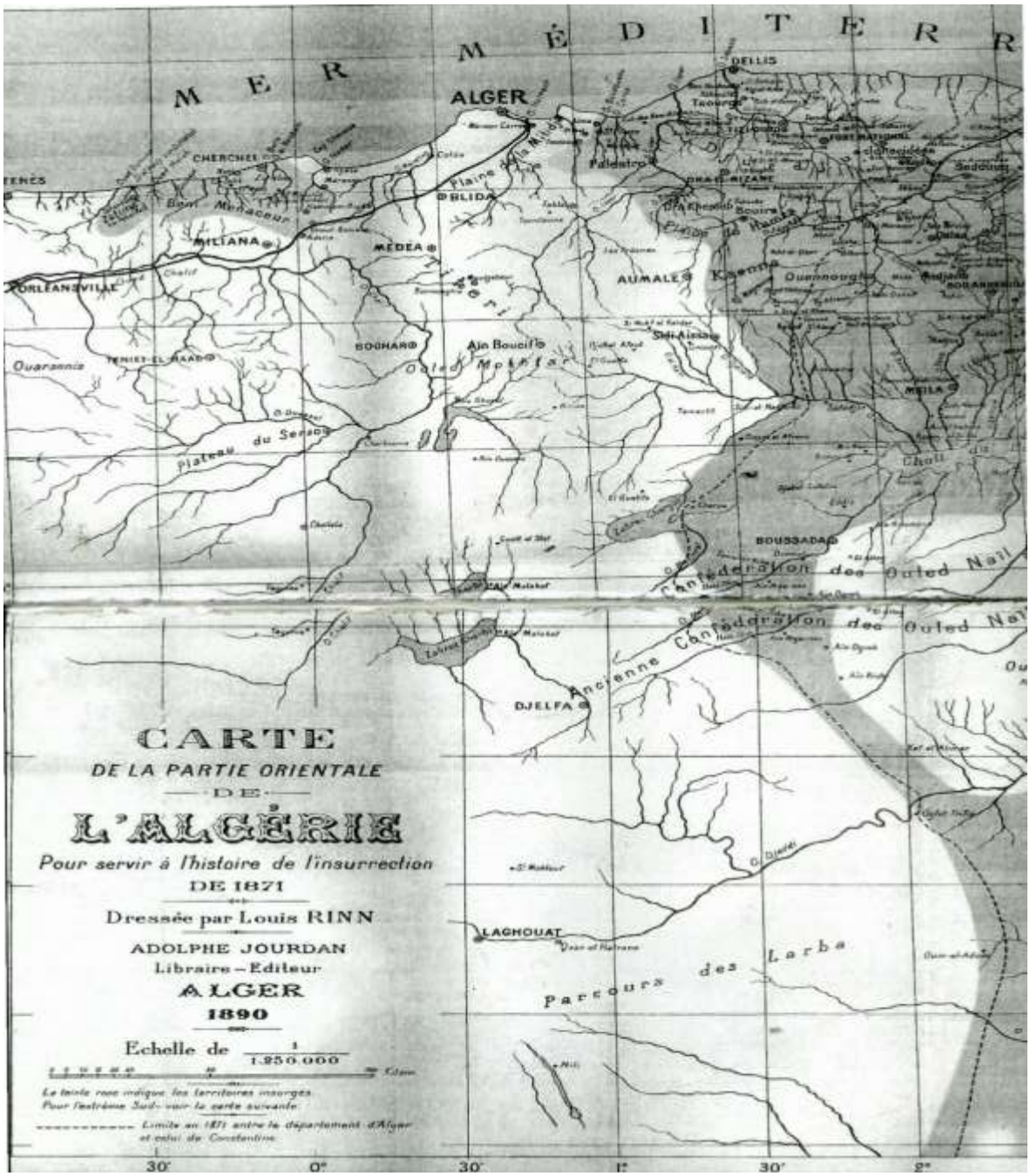

التهميش:

[1] أبو رافع التونسي، **مناهج الدعاية والتعبئة الجماهيرية، في شبكة الناقد الإعلامي**، السبت 22 يناير 2011.

[2] الجنرال أندريه بوفر، **الحرب الثورية**، تر.الهيثم الأيوبي والأكرم ديري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1988، ص 77.

[3] أبو رافع التونسي، **مناهج الدعاية والتعبئة الجماهيرية**، في شبكة الناقد الإعلامي، السبت 22 يناير 2011.

[4] اندريه بوفر،المرجع السابق، ص78 .

[5] العميد الركن ياسين سويد، **الفن العسكري الإسلامي أصوله ومصادره**، بيروت لبنان، ط1، 1988، ص43.

[6] الجنرال أندريه بوفر،المرجع السابق، ص79.

[7]جوزيف نيل روبان Joseph. Nil. Robin (1837-1918)، هو ضابط فرنسي تقلد عدة مناصب في الجزائر، حيث خدم كضابط سامي في شؤون الأهالي في الجزائر سنة 1875، وله عدة مؤلفات عن الجزائر خاصة تاريخ ثورات منطقة القبائل كثورة الشريف بوبغلة، وثورة المقراني، وله مقال عن فرقة المسبلين في منطقة القبائل. للمزيد أنظر:

Joseph. Nil. Robin, **L'insurrection de la grand kabylie en 1871.**

[8] Nil. Robin Joseph, **L'insurrection de la grand Kabylie en 1871**, éditeur militaire H.CH.La Vauzelle, Paris, 1901.p p 30-35.

[9] باليسترو، الأخضرية حاليا في ولاية البويرة.

[10] الجنرال أندريه بوفر،المرجع السابق، ص79.

[11] لويس رينLouis Rinn: ضابط فرنسي شغل منصب رئيس مكتب العرب في بسكرة من7 جوان إلى 20 أكتوبر 1870، ثم رئيس مكتب العرب في باتنة من 20 أكتوبر لغاية 11 سبتمبر 1871، ثم ملحق بطابور الجنرال سوسييه الذي أرسل لإخماد انتفاضة المقراني من 10 سبتمبر إلى 1 نوفمبر 1871،ثم رئيس مكتب العرب في منطقة جيجل وميلة سنة 1872، ثم مستشار حكومي، ثم نائب رئيس الجمعية التاريخية في الجزائر، ورئيس مكتب الشؤون العربية في الجزائر سنة 1891. للمزيد انظر

Louis Rinn, **Histoire de L'insurrection de 1871 en Algérie**

[12] أبو رافع التونسي، **مناهج الدعاية والتعبئة الجماهيرية**، في شبكة الناقد الإعلامي، السبت 22 يناير 2011.

[13] بهلول نسيم، أبجديات **الثقافة الحربية**، دار هومه، الجزائر،2008، ص70

[14] والتي اعتمدها العديد من القادة المسلمين عبر التاريخ خاصة القائد الفذ خالد ابن الوليد ض الله عنه، الذي كان يعد في كل معركة قادته وجنده إعدادا معنويا لازما، حيث عين في أركان حربه خطيبا وواعظا ، وقارئا لسورة الأنفال وهي سورة الجهاد، وأتى بالنسوة ليرجمن الجند المنهزمين ويدفعنهم للقتال دفاع عن شرفهم وعرضهم، فيعودون لساحة المعركة بروح معنوية كبيرة. للمزيد انظر: العميد الركن ياسين سويد، **الفن العسكري الإسلامي أصوله ومصادره**، بيروت لبنان، ط1، 1988، ص230.

[15] نفسه،ص70.

[16]Louis Rinn, **Histoire de L'insurrection de 1871 en Algérie,** Tom1, Art Kange Editions, Alger, p201.

[17] كتاب محيط المحيط لصاحبه هو قاموس عربي مطول مؤلف من 44 كتاب ألفه بطرس البستاني(1819-1883) الأديب والمؤرخ البناني المعروف بالمعلم بطرس.أنظر كتاب:

جورجي زيدان تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر الجزء الثاني. مؤسسة هنداوي، القاهرة.

[18] الإمامان مصطلح يطلقه علماء الحديث على صاحبي الصحيحين الإمام البخاري ومسلم رحمهم الله.

[19] العميد الركن ياسين سويد، المرجع السابق، ص55.

[20]أوصديق الطاهر، ثورة 1871، تر. مسعود جباح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989،ص 57.

[21] Louis Rinn, op, cit, tom1, p202.

[22] Ibid., pp202-204.

[23]بوعزيز يحي ، ثورات القرن التاسع عشر ،عالم المعرفة، الجزائر، 2009،ص ص 259-260.

[24] Louis Rinn, op, cit, tom1, p203.

[25] Ibid., p204.

[26] Ibid., p182.

[27] فيليب فيل مدينة سكيكدة حاليا.

[28] الفورناسيونال أو فور نابوليون هي مدينة الأربعاء ناث إيراتن حاليا.

[29]أوصديق الطاهر، المرجع السابق،ص ص 57-58.

[30] Louis Rinn, op, cit, tom1, pp203-204

[31] Nil. Robin Joseph, **L'insurrection de la grand Kabylie..., op** .cit .p 28.

[32] Louis Rinn, op, cit, tom1, p183.

[33] ibid. p.184

[34] ibid. p.186

[35] ibid. pp187-188.

[36] ibid., p188.

[37] ibid., p186.

[38] الشريف بوشوشة (1827-1875)، هو محمد بن التومي ولد بالقرب من أفلو و اشتهر بالفروسية منذ شبابه، وعرف عليه معالجة الناس بالقران والرقية، السبب الذي جعل الفرنسيين يلقبونه بالساحر، وسجن بتهمة السرقة زورا، بدأ التحضير لثورته سنة 1863، وانضم لثورة المقراني سنة 1871، أين استولى على مدينة توقرة و التي كانت قاعدة له ولرفيقه الناصر بن شهرة، لغاية إلقاء القبض عليه وأعدمه في 29 جوان 1875. للمزيد أنظر: لخضر عواريب، **بعض الحقائق عن ثورة بوشوشة من خلال بعض المصادر المحلية**، في مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد، 17، الجزائر، ديسمبر 2014، ص ص 295-305.

[39] Louis Rinn, op, cit, tom1, p193.

[40] أبو رافع التونسي، **مناهج الدعاية والتعبئة الجماهيرية**، في شبكة الناقد الإعلامي، السبت 22 يناير 2011.

[41] Nil. Robin Joseph, **L'insurrection de la grand Kabylie..., op, cit, pp58-59.**

[42] Louis Rinn, op, cit, tom1, pp119-120.

[43] Louis Rinn, op, cit, tom1, p202.

[44] ibid., p203.

[45] Jean. Desparmet, **l'entrée des français a Alger pare le cheikh Abdelkader**, in revu Afrique, année 1930, vol 71, p p 225-256

[46] ibid., p p 225-256

[47] عبد القادر خليفي، **مقاومة المقراني في الشعر الشعبي**، في مجلة الآداب، العدد8، السنة جوان 2005، جامعة قسنطينة، ص169.

[48] نفسه، ص 171.

[49] حسب لويس رين فإن نطاق الانتفاضة امتد من سهل مجانة لساحل البحر شمالا، حتى أقصى الجنوب، والحدود التونسية شرقا، فشرشال غربا. للمزيد من المعلومات انظر كتاب Louis Rinn, **Histoire de L'insurrection de 1871 en Algérie**, Tom2, Art Kange Editions, Alger, 2013.p646

[50] انظر الملحق ويمثل خريطة توسع وامتدادا ثورة المقراني في الجزائر.

.

[51] بوعزيز يحي ، المرجع السابق،ص ص 257-258.

[52] عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 176.

[53] N, Robin, **les" Imessebelen"**, in Revue Africaine, V_{18}, année 1874, pp405-406.

[54] عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 177.

[55] **ونوغة وبني يلمان: كان هذا الإقليم يمتد من سور الغزلان غربا إلى ثنية بن داود شرق،ومن جل البيبان شمالا على الحضنة جنوبا، أما مركز قيادة بومزراق فكانت قصبة بني يلمان العتيقة. حول المنطقة انظر كتاب بن الطاهر بن تريعة، بني يلمان أباء وأحفاد أعلام وأمجاد، ط1، دار الوسيط للكتاب، الجزائر، 2010، ص94**

[56] الحاج الطاهر بن أمحمد بن أحمد الزروق بن تريعة من مواليد بني يلمان سنة 1819، من أبرز شعراء منطقة بني يلمان، والشعر الملحون في الجزائر،حيث شكل شعره ذاكرة حية للمنطقة والجزائر، كان كثير الترحال وحج بيت الله الحرام، كما اعتبر لسان انتفاضة المقراني السياسي والعسكري والصديق المقرب من محمد المقراني وأخوه بومزراق، كان شاعرا فحلا جمعت له أكثر من ثمانون قصيدة ومجموعة مخطوطات حول رحلاته، والتي صودرت أغلبها من طرف الاحتلال الفرنسي بعد انتفاضة 1871، حيث فرضت عليه الإقامة الجبرية وتوفي رحمه الله سنة 1904، وهو مدفون بقصبة بني يلمان حاليا حول الموضوع انظر بن الطاهر بن تريعة، **بني يلمان أباء وأحفاد أعلام وأمجاد**، ط1، دار الوسيط للكتاب، الجزائر، 2010، ص ص 84-58

[57] بن الطاهر بن تريعة، **بني يلمان أباء وأحفاد أعلام وأمجاد**، ط1، دار الوسيط للكتاب، الجزائر، 2010، ص ص 97-98.

[58] نفسه، ص ص 100-102.

[59] ibid., pp252-253.

[60] ibid., p253.

[61] ibid., 253.

[62] الما ALMA مدينة بودواو حاليا.

[63] الجنرال اندريه بوفر، المرجع السابق، ص 76.

[64] أومال مدينة سور الغزلان حاليا.

[65] Louis Rinn, op, cit, tom2, pp412-413.

[66] ibid., p274.

[67] الجنرال اندريه بوفر، المرجع السابق، ص 76.

[68] ibid., pp203-204..

[69] مصطفى سعداوي، **التعبئة الشعبية في الريف الجزائري إبان المرحلة التأسيسية للثورة 1954**-1956.المنطقة الثالثة نموذجا، في مجلة الدراسات التاريخية العسكرية،، المجلد3، عدد خاص3، السنة2021 ، ص 95.

[70] Louis Rinn, op, cit, tom1, p.128

[71] الجنرال اندريه بوفر، المرجع السابق، ص 79.

[72] **مصطفى سعداوي، المرجع السابق، ص92**

[73] نفسه،ص93

[74] Louis Rinn, op, cit, tom1, pp229-230.

[75] ibid., pp412-413.

[76] ibid., pp 412-414.